دراسات الأدب المعاصر، السنة الحادية عشرة، خريف ۱۳۹۸، العدد الثالث والأربعون: صص ۱۱۳-۱۳۶

دراسة الوظائف الاجتماعية فی روايتی «السنوات الغائمة» و«عناقيد الغضب» على أساس النقد التكوينی

ليلا سلطانی*
عبدالحسين فرزاد**
اميرحسين ماحوزی***

تاريخ الوصول: ۹۸/۲/۱۰
تاريخ القبول: ۹۸/۵/۲۶

الملخص

النهج التكوينی والنقد التكوينی والنظرية البنائية *للوسيان غولدمان*(۱۹۱۳-۱۹۷۰م) هی واحدة من البحوث الإنسانية للنقد الأدبی المعاصر والتی تحاول الكشف عن القوانين الخفية التی تحكم كافة العلاقات الإنسانية. يتمثل الهدف الرئيسی لغولدمان فی النقد فی تحقيق نظرة عالمية للعمل وعلاقته بفئة اجتماعية معينة. فی رواية «عناقيد الغضب»، ينتقد الكاتب الأمريكی *جون ستايبنيک*(۱۹۳۰م) الظلم فی مجتمع العمل والأزمة الاقتصادية الأمريكية، ولهذه الرواية الكثير من القواسم المشتركة مع رواية السنوات الغائمة *لدرويشيان*(۱۹۹۱م)، والتی تقدم أيضاً نظرة فاحصة على الطبقات الدنيا من المجتمع فی عهد *رضاخان*، بالاعتماد على أدب العمال والأضرار الاجتماعية لإصلاح ذوی الدخل المنخفض. السبب الرئيسی للتمايز بين «السنوات الغائمة» من وجهة النظر الاجتماعية مقارنة برواية «عناقيد الغضب» هو التمثيل الكامل لحياة الشخصيات الجدلية التی لم يتم التعبير عنها بشكل كامل فی «عناقيد الغضب»، حيث تم تقديم صورة واضحة عن حياة الأفراد الجدليين. وبالتالی فإن السنوات الغائمة تكشف حياة البروليتاريا فی الفترة الحاسمة لصراع ما قبل الثورة الإسلامية. تعبر «السنوات الغائمة» عن المسيرة الطويلة المحفوفة بالمخاطر لأشخاص فقراء وكيفية الوصول إلى الوعی الطبقی، بينما لا يزال أبطال «عناقيد الغضب» فی بداية وعيهم الطبقی.

الكلمات الدليلية: السنوات الغائمة، عناقيد الغضب، النقد التكوينی، علم اجتماع الآداب.

---

* طالبة الدكتوراه فی فرع اللغة الفارسية وآدابها بجامعة آزاد الإسلامية، فرع رودهن. L.soltani@yahoo.com
** عضو هيئة التدريس بمعهد بحوث العلوم الإنسانية.
*** عضو الهيئة التدريس بجامعة بيام نور دماوند.
الكاتبة المسؤولة: ليلا سلطانی

المقدمة

يعتبر النقد التكوينى من الموضوعات الجديدة فى النقد الأدبى المعاصر، وهو نظرية نشأت فى نقد *لوسيان غولدمان*(۱۹۱۳ -۱۹۷۰م). فى تحليل النقد التكوينى، يسعى *غولدمان* إلى ربط الهيكل الداخلى للعمل بالبناء الفكرى، أى النظرة العالمية للطبقة الاجتماعية للمؤلف. فى رأيه، تتطابق السياقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأدبية، وكلما كانت العلاقة أقوى كانت المصداقية الفنية أكثر فعالية. «العمل الأدبى ليس فى المقام الأول من صنع عقل المؤلف، بل هو من صنع عقل اجتماعى شامل فيه قيم وتطلعات. فى طريقة انتقاده، يرى أنه من الممكن أن ينتمى مؤلفان مختلفان إلى فئة طبقية واحدة من حيث الهيكل الذهنى. الهدف الرئيسى من النقد برأيه هو تحقيق رؤية عالمية ذات صلة بفئة اجتماعية معينة»(شميسا، النقد الأدبى: ۲۹۲).

السمة المميزة لنقد *غولدمان* التكوينى هى وجهة نظره التاريخية لمسار التيارات الاجتماعية، فهو يرى أن مصير الإنسان مستحيل دون المجموعة الاجتماعية والبيئة الأسرية والفضاء الفكرى والثقافى الذى يتم تربيته فيه. فى النقد التكوينى يخضع الإنسان للتحليل ككل. «تحاول الفلسفة التاريخية الماركسية اكتشاف القوانين الخفية التى تحكم جميع العلاقات الإنسانية، ومن ثم فإن موضوع الإنسانية البروليتارية هو إعادة إعمار كل شخصية إنسانية وتحريرها من التغيير والتفتت الذى تعرضت له فى المجتمع الطبقى» (لوكاتش، بحث فى الواقعية الأوروبية: ۶). بالنسبة *لغولدمان*، ينتمى المؤلف إلى طبقة اجتماعية ويعكس الرؤية العالمية للفئة نفسها التى ينتمى إليها؛ فهو لا يهتم كثيراً بالمحتوى ولكنه يعتمد على صنع هذا المحتوى. الغرض من البنائية التكوينية هو التعبير عن الوحدة بين الصورة والمحتوى. يقمع *غولدمان* على حد سواء علم الاجتماع الاشتراكى والشكليات البنيوية لأن المحتوى هو الأمر الوحيد المهم فى علم الاجتماع الشعبى وليس المسائل الفنية، أما فى الشكلية فلا يكون الهيكل الدلالى هو المهم بل الصورة. إنه يسعى إلى اكتشاف العلاقة بين الهيكل الداخلى للعمل والبناء الفكرى للطبقة الاجتماعية للمؤلف برؤية عالمية ولغة بسيطة. علاقة العمل بنظرة المؤلف الاجتماعية إلى العالم هى أساس أسلوبه. هناك توافق بين العمل الأدبى والوضع السياسى والاقتصادى والاجتماعى. كلما كانت العلاقة أقوى، زادت مصداقية العمل. العمل الفنى ليس من إنشاء عقل المؤلف فى

الأساس، بل هو من صنع عقل اجتماعى، أى القيم والآمال الموجودة فى المجتمع. يهتم *غولدمان* فى المرحلة الأولى ببناء مقولات المحتوى للنظرة العالمية، وفى المرحلة الثانية بكيفية إنشاء هذه الهياكل والبنى العقلية تاريخياً. فى أسلوبه النقدى، قد يكون لكاتبين مختلفين ظاهرياً نفس الانتماء لطبقة اجتماعية معينة. تتوافق أفكاره الرئيسية مع ميلاد وحياة أدب العمال، وقد تدفقت أفكاره وازدهرت فى المؤسسة الفكرية للبروليتاريا. بالنسبة إليه، فإن البروليتاريا تجمع بالغ يدرک بعمق "تشيؤ"ه الفريد ويقوم المجتمع الرأسمالى بقمع احتجاج البروليتاريا. لذلک تنهض البروليتاريا بطرق مختلفة وتسعى لحقوقها الطبقية. الروايتان اللتان نناقشهما تمثلان حياة العمال الذين يمثلون بالنسبة *لغولدمان* ذراعاً محركة لا يمكن للطبقات المقابلة البقاء دون وجودها. من ناحية أخرى، تصبح البروليتاريا فى ذروة وعيها الطبقى فرداً إشكالياً يمكن رؤية مثاله فى الروايتين. من السهل تطبيق النقد التكوينى على روايتى السنوات الغائمة وعناقيد الغضب، حيث عبّر كاتبان معروفان بوضوح عن نقطة صعبة وحساسة فى التاريخ الاجتماعى والسياسى للبلدين بلغة الطبقات الدنيا. فى هذه الدراسة، يتم تحدى البيئة الاجتماعية والاقتصادية للروايتين، ولأن الروايتين تمثلان وصفاً لحياة العمال، فإننا سنتطرق هنا لدراسة أوجه التشابه والاختلاف التى أحدثتها النظرة العالمية للمؤلفين مع نظرية *غولدمان* للنقد التكوينى.

إشكالية البحث

إن الموضوع المشترک الذى يصور الفقر والمحاولات اليائسة من قبل طبقة البروليتاريا لكسب لقمة العيش وتغيير ظروفها المحفوفة بالمخاطر، يجعل من الممكن مقارنة روايتى «السنوات الغائمة» و«عناقيد الغضب». المدرسة الأدبية للعملين الأدبيين هى الواقعية النقدية القريبة من الطبيعية، وهى تبين الفقر والانسجام الاجتماعى للبروليتاريا مع توقع ضئيل من شأنه أن يؤدى إلى تمرد واحتجاج لا مفر منه؛ حيث يحمل الاحتجاج الذى يجعل المجتمع واعياً للعدالة وينتهى أحياناً بخسارة وموت البطل، قيمة لحياة كريمة تتطلع إلى مستقبل للجيل القادم. تتمتع الغالبية العظمى من الشخصيات فى الكتابين بهذه الديناميكية الشخصية، ولا سيما فى مجال إدراک الاستبداد والاستعمار والقوة المذهلة للنهضة الثورية للتحول وبناء الذات والأمل فى غد أفضل.

خلفية البحث

نشرت مقالات شاملة عن رواية السنوات الغائمة حتى الآن، لكن هذا العمل لم يُنتقد فى ضوء النظرية النقدية التكوينية *لغولدمان* والتى كان لها تأثير كبير على البنية الاجتماعية والبنائية للرواية. ولكن فيما يلى بعض الأعمال ذات الصلة: فى عام ۲۰۱۲م، نشر *خليلى جهان تيغ وعثمانى* مقالاً بعنوان «نقد اجتماعى للسنوات الغائمة لعلى أشرف درويشيان» فى مجلة الأدب القصصى الفصلية. كما يتضح من عنوان المقال أعلاه، فإنه يتناول القضايا الاجتماعية البارزة ومشاكل مجتمع *رضاخان*. فى عام ۲۰۱۰م، نشر *كوجكيان وقربانى* مقالاً بعنوان «انعكاس المجتمع والواقعية الاشتراكية فى السنوات الغائمة لعلى أشرف درويشيان» فى مجلة البحوث الفلسفية، وتطرقا فيه إلى الأفكار الرئيسية للشخصيات المناضلة فى الرواية. وتعتبر رواية «عناقيد الغضب» أبرز روايات العمال فى القرن التاسع عشر فى أمريكا، وترجع شهرتها إلى الدراسات الواقعية لحياة الفقراء، ولكن لم تنشر سوى مقالات قليلة عن هذا الموضوع الاجتماعى التعليمى. فى عام ۲۰۰۵م، نشرت نجمة قابلى مقالاً بعنوان «الشخصيات المتمردة فى أعمال جون ستايبنيک» فى مجلة كلستانه، حيث قامت بتقييم هجرة الفقراء وأنشطة العمال المحتجين ضد الأزمة الاقتصادية وتعاليمهم. على الرغم من أن هذين العملين مثالان متقاربان فى مجال أدب العمال والتربية فى القرن العشرين، إلا أنه لم يتم إنجاز أى نقد مقارن حولهما حتى اليوم، ويمكن للمرء إجراء دراسة مقارنة لموضوعات الروايتين مع أفكار غولدمان البنائية التى تنظر إلي حياة الطبقة الدنيا من المجتمع والنمو الفكرى لها معتمدة على كسب التعاليم. الأدب المقارن مفيد للغاية على الساحتين الوطنية والعالمية والتعرف إلى الأدب الأجنبى ومقارنته بالأدب الوطنى فى الساحة العالمية، يؤدى لتقليل الانحياز غير المبرر للغة الوطنية وآدابها.

ضرورة البحث وأهميته

للأدب المقارن مكانة تاريخية وتقليدية عمرها مائتا عام إلى جانب التاريخ الأدبى والنقد الأدبى، ومدى أنشطته المقارنة هو تقييم لرسالته. يمكن أن يساعد هذا الأدب فى فهم وحدة أدب الأمم المختلفة، وسيكون هذا أكبر إسهام فى الأدب العالمى، وهذا هو

التحضير لإنسانية جديدة(ساجدی، ۲۰۰۸: ۶۹). يحتوی الأدب المقارن كعلم حديث علی مدرستين رئيسيتين هما الفرنسية والأمريكية. تعمل دراسات المدرسة الفرنسية علی محور العلاقات النصية وتدرس الأعمال التی لها علاقات تاريخية مباشرة أو غير مباشرة، ولكن فی المدرسة الأمريكية، تجری دراسة معظم الموضوعات والأساليب(نامور مطلق، ۲۰۱۰م: ۲۹). النقد المقارن هو استجابة الإنسان المعاصر للتخصص الشديد للمعرفة الإنسانية، ومثل هذا النقد يفک شيفرات جزء من أوجه التشابه الفنی والموضوعی بين أعمال مختلف الأمم. الأدب المقارن فی إيران علم حديث ومفيد للعلماء لإلقاء نظرة أعمق علی أعمال إيران والعالم المتميزة، لا سيما وأن القليل من الأبحاث قد أجری حتی الآن بشأن هذا الموضوع، وقد حاولت المؤلفة الاعتماد علی النقد المقارن الأمريكی الذی يدرس مضمون العمل ومدرسته، لتحاول إجراء دراسة مقارنة للعملين وجسر التواصل فی هذا المجال هو تفكير *غولدمان* فی تحليل مصير المجتمعات البشرية بالضرر الاجتماعی والنقد التكوينی.

البحث والدراسة

الرؤية العالمية للوسيان غولدمان فی النقد التكوينی

بالنسبة *لغولدمان*، فإن البنائية التكوينية فی سياق المجتمع تعنی تلقی الظواهر الاجتماعية فی تاريخها، والمعرفة الملموسة بالظواهر الإنسانية ممكنة فقط فی سياق علم الاجتماع التاريخی. يری *غولدمان* أنه ةليست هناک ظاهرة من الظواهر البشرية، سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية أو الثقافية وما إلی ذلک، غير قابلة للتشريح، باستثناء عملية التحول التاريخية الواسعة التی لا تقتصر علی الماضی والحاضر بل تتجه إلی المستقبل»(غولدمان، المجتمع، الثقافة، الأدب: ۴۱) وتتمثل مهمة علم الاجتماع التكوينی فی التركيز علی عالم العمل وليس محتواه الخام، وبالتالی كلما كان العمل الأدبی أكثر اتساقاً وانسجاماً ومقترناً بالأسلوب الدقيق للفئة الاجتماعية المتميزة والنظرة العالمية الخاصة التی تشكل هيكل العمل، كلما وصلنا إلی الواقع الاجتماعی للعمل بشكل أكثر تعبيراً. «إن الاعتراضات علی تحليل البنائية التكوينية للأدب تشير إلی أنها لا تدمج المفاهيم الفلسفية فی الأدب ولا تهتم كفاية بجسم العمل، لأن البنائية التكوينية تفصل

بشكل حاسم الجزء التخيلی عن الجزء الإدراکی، ولا تهتم بالقصة، أی المحتوی الخام، ولكن بهيكل عالم العمل»(غولدمان، النقد التكوينی: ۹۲). وفقاً لنظرية *غولدمان* واهتمامه الخاص بالنقد، فإن النظرة العالمية وهيكل العالم الغامض للعمل يخضع للتحليل حسب البنائية الماركسية. النقد الماركسی هو أحد أنواع النقد الاجتماعی الذی يدرس الأدب فی سياقه التاريخی. يتأثر هذا النقد للأعمال الأدبية بالبنية التحتية الاجتماعية والاقتصادية، ويعكس كل عمل ظروف الطبقات الاجتماعية والخلافات، لذلک يتعين على الناقد تحديد السياقات التی يتأثر فيها العمل(كوجكيان، انعكاس المجتمع والواقعية الاشتراكية فی السنوات الغائمة: ۷۶). فی المدرسة الماركسية، يكون للأدب دور اجتماعی وسياسی. يعتقد الماركسيون أنه لا يمكن دراسة الأفراد بعيداً عن المجتمع لأن لديهم رؤية عالمية معينة فی المجتمع. ينطبق النقد التكوينی للبنائية الماركسية على الممر النظری الأول، أی النظرة العالمية الطبقية. النقد التكوينی ليس منفصلاً عن البنائية الماركسية؛ يشرح *غولدمان* النقد التكوينی بالفكر الماركسی.

تشابه أفكار ماركس وغولدمان فی النقد الاجتماعی

يری المفكر الكبير *كارل ماركس*(۱۸۱۸- ۱۸۸۳م) أن علاقات النظام الرأسمالی والاجتماعی بين البشر تتشكل من خلال العلاقات بين الأشياء، ولكن بسبب الاستغلال الذی يحدث، والذی يجعل من الضروری تكوين شبكة علاقات سلع كاملة تشكل المجتمع الرأسمالی، فإن العامل هو محور المجتمع: «تقع طبقة العمال فی مكانة يمكنها من خلالها أن ترى المجتمع الرأسمالی ككل وتحقق الوعی الطبقی فی الوقت نفسه الذی يوجد فيه التشيؤ»(لوكاتش، التاريخ والوعی الطبقی: ۳۱۷). إن وعی العامل ذاته مبنی على المكانة الموضوعية للبروليتاريا فی مجتمع الرأسمالية. إنها العملية التی يتعرف من خلالها العمال على وضعهم الحقيقی فی المجتمع وهی أساس العملية الذهنية والفكرية. فی هذا الممر، يتوافق نقد *غولدمان* تماماً مع آراء *ماركس*، لأن ماركسية *غولدمان* تعتبر ضرورة تتجاوز الأدب والفلسفة، فهو مثل *ماركس* سياسی، وأساس تفكيره يتمثل فی ضرورة تغيير العالم. كان *غولدمان* مثقفاً راديكالياً اعتبر طبيعة العقل ثورية، كما كانت السيطرة على العمال بالنسبة له هی الأداة الواعدة للتغيير الجذری.

كيفية ظهور أدب العمال

أدب العمل هو نوع من الأدب الذی ظهر وازدهر فی العالم منذ القرن التاسع عشر. «كل حركة تخلق أدبها الخاص، تبرز الطبقة العاملة إلی جانب النظام الرأسمالی، وصراعات العمال واهتماماتهم تخلق الأدب العمالی»(سلطانی، أدب العمل: ۴۵). لا يقتصر الأدب العمالی علی العمال بل يشمل الأشخاص ذوی الدخل المنخفض والأميين والمشردين. فی إيران وقبل النهضة الدستورية، كان لدينا أيضاً شعر عمالی لشعراء مثل *فرخی يزدی*. شهدت السنوات الأخيرة من الحكم القاجاری تشكيل الطبقة العاملة فی إيران، وبدأت حركة الطبقة العاملة الناشئة فی إيران منذ عام ۱۹۰۱م فصاعداً، حيث تمت المشاركة فی الثورة الدستورية مع الطبقات الأخری ثم جری تشكيل نقابات العمال وفی النهاية تشكيل حزب مستقل. خلال عهد *رضاشاه*، وبسبب تقوية العلاقات الرأسمالية، نمت الطبقة العاملة الصناعية واتسم أدب العمال بنوعية أفضل، فقد صور *صادق هدايت* فی قصة «غداً» و*بزرك علوی* فی قصة «الخائن» و*به آذين* فی قصة «بنت الرعية» حياة العمال وصراعاتهم. «عندما يتحدث أحد الكتاب عن تاريخ العمال ومشاكلهم وفقرهم وكيف يتم استغلال العمال ونضالهم الشرعی مثل الإضرابات والمظاهرات، فإنه يدخل فی هذا النوع الأدبی المسمی أدب العمال»(انظر: سيدی، دراسة للأدب العمالی فی الفترة الدستورية فی النظم والنثر: ۲۷). عندما نعتبر العمال طبقة اجتماعية تحارب المجتمع الرأسمالی وهی فی طليعة هذا الكفاح، فإن المشاكل الاجتماعية فی هذا القرن تتمثل فی: البطالة والفساد والتضخم والتلوث البيئی والحروب الدينية والعرقية والإثنية الكبری والتدخل الإمبريالی فی حياة الفقراء التی هی عالمية ولا تقتصر علی الطبقة العاملة، وسوف نجد أن نضال العمال هو صراع إنسانی لجميع شعوب الأرض.

البروليتاريا مأسورة بالتشيؤ

«البروليتاريا(Proletorius) مشتقة من Proles بمعنی الابن. فی روما القديمة، تضمنت الكلمة أشخاصاً لا يستطيعون دفع الضرائب فقاموا بتوظيف أطفالهم لخدمة الحكومة. البروليتاريا هی الطبقة التی لا تملك أی وسائل إنتاج وتعيش من بيع مجهودها العضلی أو الفكری»(آشوری، الموسوعة السياسية: ۸۴). عندما يصل العمال إلی الوعی

العمالی من خلال عملية عقلية وفكرية ويتصورون التضاد الطبقی داخل المجتمع، يؤدی ذلک لتحول وعيهم، وبالتالی سوف تنهار الهياكل ذات التشيؤ الرأسمالی.

التشيؤ(Verding lich hung bewussteseincs) «ذو دور حاسم للاقتصاد ككل فی السلوک الاجتماعی»(غولدمان، ۱۹۹۷م: ۴۴) ويؤدی التشيؤ إلی ثورة البروليتاريا. فی وجود البروليتاريا، تصل القوی العاملة إلی الوعی وتثور ضد التشيؤ الرأسمالی. لذا فإن العامل عبارة عن سلعة تتكون من كائنات بشرية متمردة يحتمل أن تكون ضد النظام الاقتصادی والاجتماعی الذی يسعی إلی اختزالها إلی أشياء غير حية. لا تملک البروليتاريا الثروة اللازمة لاستغلالها ولا المكانة الاجتماعية للدفاع عنها. إن البروليتاريا، بحكم وضعها الاجتماعی فی المجتمع الرأسمالی التقليدی، هی الطبقة الوحيدة التی تمكّنها حالتها الشمولية من الحياة من رفض موضوع التبعية. إن روايتی «السنوات الغائمة» و«عناقيد الغضب» تمثلان قصة الحياة المتقلبة للبروليتاريا، أسرتان واسعتان تمتدان إلی أربعة أجيال، وتشملان الطبقة العاملة بأكملها، وتتعارض مع تشيؤها.

الوظائف الاجتماعية للبروليتاريا والتشيؤ فی «السنوات الغائمة»

موضوع القصة نقدی ونضالی، ونظرة *درويشيان* فی الكتاب هی نظرة اجتماعية سياسية مستوحاة من الجو الاستبدادی لأربعينيات وخمسينيات إيران. يتحدث الراوی عن الحرب العالمية الثانية واحتلال كرمانشاه من قبل الحلفاء، وانقلاب أغسطس ۱۹۵۳م، وأنشطة الأحزاب السياسية، وانتفاضة يوليو، وأخيراً الثورة الإسلامية. شريف هو راوی رواية «السنوات الغائمة». الفقر الذی يلقی بظلاله علی حياة من حوله، وأفكار الخال سليم العامل الذی ينتمی لحزب توده، وقراءة أنواع الكتب والصحف تجعل منه مناضلاً ثورياً فی طليعة حزب توده. «طالب حزب توده بثورة وطنية ضد أصحاب الإقطاع لإكمال الإصلاحات التی بدأت بالثورة الدستورية. اعتقد الحزب أن الصراع الاجتماعی الرئيسی فی إيران كان بين الشعب المضطهد والحكام القمعيين، وليس بين الطبقات الوسطی والدنيا» (إبراهيميان، إيران بين ثورتين: ۱۷۱). إن تمرد سليم وشريف ومناضلين آخرين احتجاج لأجل الإطاحة بحكومة الحكام القمعيين الذين يشبهون دودة العلق التی تمتص دماء الناس وتسمن يوماً بعد يوم. والد شريف هو عامل ذو دخل منخفض وأمی وخاضع وبسبب

كونه سلعة عديمة القيمة فإنه يؤمن لقمة العيش بالجهد والتعب. تمارس والدة شريف الخياطة وبالكاد تقدر على دفع تكاليف تعليم أولادها على أمل ألا يصبحوا فقراء مثلها. ينضم الخال سليم إلى نضال المجموعة ضد زعماء البرجوازية، لكنه يصاب بالإحباط بعد انقلاب أغسطس وإسقاط مصدق وهزيمة حزب توده. طرد من العمل بسبب الفعاليات السياسية لكنه عاد إلى العمل بأجر أدنى دون أى مزايا تتعلق بخبرة العمل. إنه محكوم منذ الطفولة بالعمل الشاق وانخفاض الدخل والتشيؤ. على الرغم من أن مؤسسى حزب توده كانوا ماركسيين، إلا أنهم لم يطلقوا على أنفسهم شيوعيين، وكان أحد أسباب حذرهم هو أن الشعب كان لديه نظرة معادية للاشتراكية والشيوعية والاتحاد السوفيتى.

يدور موضوع القصة، بالإضافة إلى السياق السياسى، حول الفقر وعواقبه، والتى تشمل المرض والموت والنزاعات العائلية وعمل الأطفال(خليلى جهان تيغ وعثمانى، نقد اجتماعى للسنوات الغائمة بقلم على أشرف درويشيان: ١١٩). عائلة شريف هى مثال على البروليتاريا التى تفهم الظروف الاستعمارية السابقة للثورة وتسعى للعمل مع أحزاب المعارضة مثل حزب توده وحركة الحرية لكسر شوكة المستعمر على أمل التخلص من الفقر والحصول على حقوق العمال الفقراء. «يمكن للمجتمع أن يستفيد من الحرية والديمقراطية من خلال وجود حقول ناضجة وكاملة، وكان الراحل مصدق يريد أن تحقق الديمقراطية نمواً ثقافياً. من المؤكد أن المجتمع الذى كان فى قبضة المستعمرين منذ قرون لن يتم تحريره منه بسهولة، وسيظل فى حالة من الفوضى»(كازرونى، أعمال درويشيان فى بوتقة النقد: ١٨٧).

الوظائف الاجتماعية للبروليتاريا والتشيؤ فى «عناقيد الغضب»

تدور أحداث القصة حول حالة عائلة فقيرة من أوكلاهوما هاجرت إلى كاليفورنيا خلال الأزمة الاقتصادية الأمريكية فى الثلاثينات من القرن العشرين، وقد اقتبس الجانب الأسطورى للقصة وملحمة العمال المهاجرين من التوراة والبحث الأبدى عن الأرض الموعودة(ترافيک، تاريخ الأدب العالمى: ٩١١). عائلة جود التى قدمها لنا الكاتب فى روايته هى مثل آلاف الأسر الأمريكية المعدمة دفعتها الظروف الاقتصادية الصعبة، التى تتعدى حدود الفقر لتصل بالمواطنين إلى حد الموت جوعاً أو جفافاً، إلى ترک وطنها وعملها فى

القطن بأوكلاهوما بعد أن أصابها الجدب والجفاف خلال فترة قصعة الغبار والسفر غرباً إلى كاليفورنيا سعياً وراء حياة أكثر أماناً بعيداً عن الفقر. قبل السفر تقوم الأسرة بتمليح خنزير كزوادة للطريق، حيث يرمز الخنزير إلى مصير البشر الذين تم سحقهم وتدميرهم تحت الحكم الاستعمارى دون أن يكون لديهم الحق فى الاحتجاج. بعد الوصول إلى وجهتها، تعيش عائلة جود فى معسكر العمل ويعملون فى الحقول للحصول على الحد الأدنى للأجور، ويستغلهم أصحاب العمل والإقطاعيون. يتمرد توم(الابن الأكبر للعائلة) وينضم إلى المحتجين: «إن مفهوم التمرد فى العالم الحديث لا يعنى الأنانية، بل يكمن فى الاستجابة المتمردة للحب للإنسانية. لذلك، بالإضافة إلى التمرد على القوة المتدهورة للمجتمع الحديث، فإنه يدعو إلى العدالة فى المجتمع الإنسانى ورفاهية البشر»(قابلى، الشخصيات المتمردة فى أعمال جون ستاينبيک: ۵۱). تدرک عائلة جود تشيؤها محاولة تغيير حياتها. البروليتاريا هى بطل المشكلة حيث أدركت هدف التبعية وهى فى طليعة الثورة. إذا قسمنا روايات القرن العشرين التى تعانى فى حد ذاتها من الكثير من التناقضات التاريخية والاجتماعية وتواجه الكثير من الكوارث الإنسانية والأخلاقية إلى أقسام فسوف يكون لدينا: الجيل الأول: *مارسيل بروست*. الجيل الثانى: *ألبر كامو* والجيل الثالث: *غراهام غرين*. تصنف «عناقيد الغضب» فى الفئة الثانية: «جيل خرج من رماد الأمل يسعى لتحسين الظروف الإنسانية ويلاحظ فى أعماله الأمل والإيمان الجديد بالحياة بمعناها الخالص والبدائى الغائب فى كتابات المؤلفين السابقين»(المرجع نفسه: ۵۲).

الوظائف الاجتماعية للروايتين فى مجال التشيؤ

تعتبر والدة شريف أن مصيرها فى الحياة فقر مطلق وديكتاتورية واستبداد وتشيؤ أبدى، بينما كانت والدة توم تملک الأرض والعمل منذ البداية، ولم يكن لعائلتها سوى القليل من الشعور بالملكية والازدهار. تعانى عائلة جود من التشيؤ بقدر ما تعانى منه عائلة شريف وهو ليس موروثاً، وآمال عائلة جود فى ظروف أفضل هو أمل أكبر. «قالت الأم: يجب أن نبذل جهودنا. نحن نبقى على قيد الحياة بينما تموت سبعة أجيال منهم. نحن خالدون ولا يمكنهم تدميرنا. نحن الشعب والشعب حى دائماً»(ستاينبيک، عناقيد الغضب ۴۹۸۲). يبدأ الاختلاف فى الرؤية العالمية بين توم وشريف منذ الطفولة. عاش شريف بين

الفقراء- لكن توم كان فی رخاء نسبی، وتعرّض عائلته للتشيؤ كان سريعاً وإدراكهم له بطیء. «الماركسية ليست مجرد وصف للعالم، إنها المعرفة الذاتية للمجتمع الذی من خلاله سيصبح العالم ثورياً وموضوع هذه المعرفة بالنفس(البرولتاريا) يفهم الواقع بينما يخضع للتغير ويصبح التاريخ واعياً بنفسه من خلال النشاط الثوری لهذه الطبقة»(غولدمان، ۲۰۱۲م: ۲۶).

الوعی الممكن

يترجم الوعی الممكن إلی الوعی المحسوب. يعتقد *ماركس* أننا لا نحتاج إلی معرفة ما تفكر فيه الطبقة الكادحة، لكننا نهدف إلی فهم الوعی الطبقی للكادحين والتمييز الرئيسی للوعی الحقيقی ويكمن الوعی الممكن فی هذه المرحلة. «ليس الهدف من الوعی الممكن هو فهم الفكر الجماعی، بل فهم مفتاح فهم التغيير؛ يمكن أن يحدث ذلك فی الوعی الجماعی دون تغيير الطبيعة الأساسية لتلك المجموعة»(غولدمان، لوكاتش وهيدجر: ۶۶).

الوعی الممكن فی «السنوات الغائمة»

عائلة شريف هم عمال. يصف الخال سليم كيف أنه عندما كان طفلاً كان ذا جسم نحيف ونحيل وكان يتم إرساله داخل الأنابيب الكبيرة فی المصنع لتنظيفها. «المجال الرئيسی للوعی الممكن هو استكشاف وعی مجموعة معينة تكافح بدون تغيير هيكلی وتحول اجتماعی عميق فی السابق لا يمكنها الخروج عنه. تحقيقاً لهذه الغاية، يرشدنا مفهوم وعينا الممكن لفهم الحياة الاجتماعية»(انظر: المصدر نفسه: ۸۰). التاريخ والمجتمع والسياسة فی هذه الرواية هی ثلاثة أجزاء لا تتجزأ وتخلق نسيجاً متكاملاً فی الرواية. بالنسبة *لغولدمان*، يتم تعريف كل طبقة اجتماعية بثلاثة عوامل مهمة. «۱.الدور فی الإنتاج، ۲.العلاقات بين الطبقات الأخری، ۳.النظرة العالمية الخاصة. النظرة العالمية تابعة لدور الإنتاج الفردی فی المجتمع»(غولدمان، مقدمة فی علم الاجتماع؛ الأدب: ۶۱). يتمثل الوعی الممكن لهذه الطبقة فی الخوف من الجوع والفقر بشكل أكبر، وفی الوقت نفسه يثور هذا الضغط الداخلی بسبب النظام الاستبدادی، ووفقاً *لغولدمان*، يمنحهم رؤية خاصة للعالم. يقول سليم إنه ينتمی لحزب توده لأنه يعتقد أن صراع الجماعات العمالية

يلعب دوراً مهماً فی هزيمة الإمبريالية، يقول: «معسكر اللصوص فی إيران واحد، والأقنعة مختلفة. قبضة العامل هی وحدها القادرة علی التسبب بالقلق والاضطراب لهم» (درويشيان، السنوات الغائمة: ۶۵۶). يقضی شريف شبابه فی سجن السافاک، يتعرض للتعذيب، لكنه لا يتخلی عن إيمانه لأن وعيه الطبقی الممكن يعزز النضال ضد الاستبداد ويقوی قيمة العدالة. هذا هو الوعی الممكن للطبقة البروليتارية التی أصبحت تدرک تشيؤها وتحاول تدميره. جميع العائلات تتابع قضية السياسة والنظام الاجتماعی غير مناسب، وتتوق إلی الإطاحة بالنظام وتنتظر منقذاً عظيماً.

الوعي الممكن فی «عناقيد الغضب»

هاجرت عائلة جود علی أمل العثور علی أرض جديدة وعمل. كاليفورنيا هی سراب للفقراء ليس إلا، ويستغلهم ملاک الأراضی. لقد ظل توم فی السجن لبعض الوقت ولا يتحمل الظلم فينضم إلی صفوف المناضلين. «يجب علی البروليتاريا أولاً أن تدرک وضعها التاريخی حتی تصل إلی موقعها الرئيسی(سعيد، عالم النص والنقد: ۳۲۸). البقاء علی قيد الحياة هو قمة الوعی الممكن لهذه الطبقة الكادحة. «كل ما نفعله هو فی رأيی ليس سوی الحياة. أری كل شیء مثل هذا، حتی الجوع، وحتی البؤس. يموت الكثيرون ولكن آخرين يصبحون أكثر مقاومة، ويجب العمل للبقاء علی قيد الحياة حتی الغد فقط، للبقاء علی قيد الحياة اليوم»(ستاينبيک، عناقيد الغضب: ۷۵۸). لا تفيد الهجرة الأسرة، تماماً كما لم تحمل هجرة عائلة شريف إلی طهران سوی الفقر والبؤس لها. وفقاً لنظرية *غولدمان*، تدرک العائلتان ظروفهما الاجتماعية التاريخية، لكن معظم أفرادها غير قادرين علی مواجهة الظلم والاحتجاج عليه. الرواية الواقعية هی تعبير عن مجتمع متغير ولن يمضی وقت طويل حتی تصبح تعبيراً عن مجتمع يدرک التغيير وعائلة جود تمر بهذه المأساة فی كل مرحلة حيث يكتمل إدراكها كل يوم لظروفها الحرجة.

الشخصية الإشكالية

الشخصية الإشكالية متذمرة وفضولية، لا توافق علی الظروف الاستعمارية الاستبدادية للحكومة، وتسعی إلی الحصول علی نموذج وفرصة وقائد وتيار لتجاوز العيوب والمشاكل

الاجتماعية والسياسية. الرواية هى انعكاس للواقع قبل أن تكون من نسج الخيال، وجوهرها الأساسى يكمن فى التعبير عن العلاقة بين الواقعية والشؤون التحليلية. الروايات التى أصبحت إبداعات ثقافية مهيمنة هى روايات تتخط الصلاحية السطحية لعلاقات إنسانية محددة، وتجد نموذجاً اجتماعياً يشمل عالماً من القيم، وتكون كمرجع لمغامرات البطل وخبراته فى الأعمال الأخرى. «يتم البحث عن القيم الحقيقية التى لا يمكن تحقيقها فى الواقع الخارجى داخل عالم الإنسان، ولكنها ليست فى مأمن من الأضرار التى تؤثر على الهيكل الاجتماعى للمجتمع بشكل عام. لذلک، فإن أولئک الذين يبحثون عن القيم الحقيقية يمثلون شخصية إشكالية لأنهم لا يستطيعون الهروب من الآثار الضارة للقيمة المتداولة علناً للتشيؤ»(غولدمان، المجتمع، الثقافة والأدب: ١٢٦). فى مجتمع فردى يأسره التشيؤ، تنطبق الشخصية الإشكالية على شخصية بطل الرواية فى عالم الجمالية.

دراسة الشخصيات الإشكالية فى الروايتين: شريف وتوم

ازدهر وعى شريف الممكن من خلال العيش بالقرب من العم سليم والعم حامد وجعله شخصية ديناميكية. عندما يعارض المعلم السياسات الاستبدادية ويشجع الطلاب على محاربة الظلم، يذهب إلى الجامعة، ويصبح ناشطاً سياسياً، ويسجن ويعذّب بسبب معتقداته، ويسعى لتحقيق حقوق طبقته. أى أنه شخص إشكالى وكبطل إشكالى يدرک التناقضات الموجودة بينه وبين المجتمع، لذلک فهو دائماً ينتقد ويعارض ويعرّض حياته للخطر فى سبيل هذه المعارضة. ينجذب شريف فى البداية إلى حزب توده بسبب عقائد الخال سليم ومرتضى. بعد الانقلاب ونفى مصدق وزعزعة أركان حزبه، هُزمت الحركة المناهضة للإمبريالية ومنظمات المعارضة، وتم تأسيس دولة فاشية ولم تعد هناک صلة بين المثقفين الثوريين والجماهير. فى خضم هذه الأحداث التى تغتال الديمقراطية وتقمعها وتعطل إنشاء المنظمات العمالية، يدخل شريف الجامعة ويقبل على النضال المسلح مع مجموعة من الأصدقاء لكسر موجة الاستبداد وإخراج البروليتاريا من الثقافة القمعية. كانت رسالة الفدائيين الرئيسية هى حرب العصابات. «بعد الهزائم المتتالية لحزب توده، حققت انتصارات كاسترو والثقة الجديدة التى أنشأها مقاتلو أمريكا اللاتينية تأثيراً

حيوياً على المثقفين الإيرانيين الشباب»(أبراهاميان، إيران بين ثورتين: ۴۸۸). يكتسب توم الخبرة طوال الرواية ويصبح متمرداً. وبهذا المعنى، فإن التمرد هو الابتعاد عن العالم الرأسمالى الذى تتفوق فيه حقوق الملكية على حقوق الإنسان ويتم تجاهل أبسط قوانين الحياة. فى ظل الرأسمالية، من المنطقى أنه فى الوقت الذى تهدر فيه أكوام الفاكهة، فإن الأطفال يتضورون جوعاً لتبقى أسعار الفاكهة ثابتة والمزارعون ذوو الخبرة غير قادرين على العمل فى أرض خصبة(قابلى، الشخصيات المتمردة فى أعمال جون ستاينبيک: ۵۲). توم شخصية إشكالية، وعلى الرغم من مروره بالقصة، لكنه لا يستطيع حل نزاعه مع المجتمع الفاسد والمستعمر، وأمله فى العثور على الخلاص يجعل منه شخصية ديناميكية؛ وتبدو ردود أفعاله فى الجزء الأخير من الكتاب تبدو مثل حرب العصابات التى يقوم بها شريف. إنه يناضل إلى جانب رفاقه، ويحترف النضال والمعارضة ضد أصحاب الأراضى، ولا يخاف الموت، وأمله هو تحرير البروليتاريا. «ضحک توم ضحكة ملؤها الألم وقال: كما اعتاد جيسى أن يقول، لا توجد روح منفصلة، بل يحتوى كل إنسان على جزء من الروح. أنا أدرک صراخ الأشخاص الذين يتألمون من الجوع. أنا خائف على الأطفال الذين يعانون من الجوع ولا يوجد شىء يأكلونه»(ستاينبيک، عناقيد الغضب: ۷۵۱). شريف وتوم كلاهما أبطال رواية وشخصيتان إشكاليتان، وغضبهما من أزمة الظروف الاجتماعية يغذيها ولكن العنف الذى فى توم ليس فى شريف. يؤمن شريف المتعلم بالنضال الثقافى، وفى مكتبته يسعى لزيادة وعى بالشباب بالمجتمع، فيقدم روايات مثل «سووشون». توم غاضب أكثر من كونه سياسياً، وتصوره للقضايا تصور سطحى، ولم يدخل السجن بسبب أنشطته السياسية مثل شريف حيث جعله السجن شخصاً عنيفاً. يعتبر السجن بالنسبة لشريف بيئة للتعمق فى التفكير والتعذيب يجعله أكثر رسوخاً. إن طريق توم بصفته متمرداً فى نهاية الرواية طريق متعرج ملتوٍ وصل إليه شريف منذ سنوات مع الوعى الثورى الذى لديه.

قسيس باسم جيم كيسى

هو رفيق سفر لعائلة جود يُقتل على يد حملة العصى أمام أعين توم. يضرب توم واحداً منهم ويهرب. فى نهاية المطاف يتم قتل الشخصية الإشكالية بسبب المعتقدات. فى فترة الفرار، يتذكر توم كلمات كيسى الحكيمة عن العدالة والتصوف: «فى عدة أماكن من

الرواية، يشير كيسى إلى أن الحياة البشرية خلف القيم الاجتماعية والأخلاقية، مقدسة والمحترمة، وإن ما يعرقل الحياة بالمعنى العام للكلمة، مميت وقذر وخاطئ ويستحق النضال ضده»(قابلى، شخصيات المتمردة فى أعمال جون ستاينبيک: ٥٢). يتمتع جيم كيسى بتأثير عميق على توم وقد لعب دوراً مهماً فى الوعى السياسى له ودخل إلى حياة توم خلال ظروف التمرد على الاستبداد الليبرالى. المشكلة تكمن فى أن هذا التسارع للأحداث يجعل تقييم رؤية توم أزمة مضاعفة. وبسبب هذا، فإن جيم كيسى ورغم تحريضه لتوم، لكن لا يمكنه توجيه ضمير توم وفكره القائم على العدالة كما فعل سليم ومرتضى اللذان كانا معملى شريف منذ الطفولة وغرسا فيه الفكر الثورى والوعى الطبقى. ومن جهة أخرى فقد توم معلمه فى الطفولة مبكراً.

العم سليم والسيد مرتضى

ينتميان إلى حزب توده لكنهما تائهان، وحقوق البروليتاريا الضائعة هى شاغلهما الرئيسى. هدفهما هو أن يكونا معارضين سياسياً للنظام ولا يحاولان فرض كل أفكار الحزب. عندما مات *ستالين*(١٩٥٣-١٩٢٢م)، يقيم الرفاق الآخرون الذين يرون *ستالين* كزعيم كبير لبروليتاريا العالم مراسم صمت، لكنهما يغادران الجمع احتجاجاً. يتلقى سليم جميع الأوامر من حزبه ويعارض مصدق لأنه يعتبره عميلاً أمريكياً، بدلاً من ذلک يوافق على الشيوعية والحركة العمالية السوفيتية. تم نشر بعض أفكاره من خلال الحزب، وكان أهم نجاح لتوده هو تنظيم العمال، إلا أن معظم معتقداته كانت مفروضة عليه حيث جعلت منه شخصية معارضة وإشكالية.

«نظرت بيبى مباشرة إلى الخال سليم: هل أنت من حزب توده؟ يقول الخال: نعم يا أمى، إن حزب توده هو حزب الطبقة العاملة الإيرانية» (درويشيان، السنوات الغائمة: ٥٨٠). السيد مرتضى هو الشخصية الأكثر إثارة للقصة بعد شريف، وبعد عدة سنوات قضاها فى سجون السافاک يتم إعدامه مع أبنائه المناضلين السياسيين المناهضين للنظام. «الطريقة الصحيحة لوصف شخصية الرواية هى أولاً أن تصبح مؤهلة اجتماعياً وثانياً أن تصبح ضحية للمجتمع. أى أن البطل غالباً ما يثبت بموته أن مجتمع الشر لا يزال بعيداً كثيراً عن الخير»(زرافا، علم اجتماع الأدب القصصى: ١٧).

إنه عضو فی حرکة المقاومة الوطنية، وهی حرکة هـدفها الـدفاع عـن مکاسـب تـأميم صناعة النفط ضد الحکومات الاستعمارية. دافعت هذه الحرکـة عـن *الـدکتور مصـدق* بعـد الانقلاب واحتجت علی نفيه. «ينظر الخـال حامـد إلـی السـماء، يتحـرک اليـوم مناضـلو کرمانشاه إلی طهران لدعم مصدق، لذلک سأذهب معهـم»(درويشـيان، السـنوات الغائمـة: ۶۶۰). شخصية الخال حامد إشکالية وأفکاره وطنيـة مقارنـة بأفکـار الخـال سـليم: «هـذا الاتحاد السوفيتی، الدولة العمالية، لماذا لا يشـتری الـنفط منـا لمسـاعدة هـذه الحکومـة الوطنية؟ سليم: تأکد أنه إذا اشـتری السـوفييت الـنفط منـا، فـإن *مصـدق* کـان سـينفق العائدات علی شراء الإمدادات من الولايات المتحدة. حامـد: هـل هـذا هـو الجـواب الـذی وضعوه علی لسانک؟ هل ستکون الضربة أسوأ؟»(المرجع نفسه: ۶۹۶). «اختلف قادة تـوده حول ما إذا کان ينبغی الدفاع عن مصدق أم لا. يعتقد الأعضاء ذوو الخبرة أن حزب تـوده يجب أن يساعد الجبهة الوطنية لأنها تمثل البرجوازية الوطنية فی الحرب ضد الإمبرياليـة البريطانية وتسعی جاهدة من أجل الثـورة الديمقراطيـة الوطنيـة ويمکـن للحـزب تعبئـة الثـورة الديمقراطيـة الوطنيـة مـن خـلال المطالـب والمظـاهرات وغيرهـا مـن الأعمـال الجماهيرية»(أبراهاميان، إيران بين الثورتين: ۲۹۰).

من الواضح أن کل حزب کان مهتماً بتوحيد أفکاره، وباستثناء کبار القـادة السياسـيين الذين کانوا من المثقفين والموظفين الحکوميين، لم يکن للعمال والأعضاء البعيـدين عـن الساحة السياسية فهم واضـح لظـروف الأزمـة وکـانوا يتخبطـون تـائهين متمـردين بـين الأحزاب بنواة التفکير النقدی والمناهض للحکومة غير متصورين عدواً أو عقبةً فی الکثيـر من الشؤون وکانت مثلهم الرئيسية تقوم علي الإطاحة بالفقر والاستبداد. فی ۱۹ أغسطس، حدث جدال لفظی بين الشقيقين: «قام زاهدی بالانقلاب فسبب لنا البؤس جميعاً. حامـد: يکفی أن حزب توده قد زرع العقبات. يمسح سليم صورة مصدق بقطعة قماش مبللـة: لأن مصدق کان يختبئ تحت البطانية ولم يخرج. فی منتصف الليل نساعد العم حامد وسـليم علی إخراج صحفهما وکتبهما وتدميرها»(درويشيان، السنوات الغائمة: ۷۳۲). فـی النهايـة ينضم الشقيقان إلی النضال ضد تقلبات ما بعد الانقلاب. لم تنفع وحدة مجموعتی الحرکة الوطنية والحرکة الجماهيرية لأن هذين الحزبين ليس لهما قائد قوی ولـم تتطـور مشـاعر ثورة الشعب. ليس لشريف فهم صحيح للأفکار الحزبية المختلفة وهو فی حيرة مـن أمـره.

«لا أدری لماذا يقول الخال سليم، الذی عمل فی شركة منذ الطفولة وكدح كثيراً، هذا لمصدق؟ لماذا إذن يحب الكثير من الناس مصدق وهم يعملون بجد وكدح مثل اخلال حامد والسيد ومرتضی؟ أنا لا أعرف ماذا أفعل. رجعی، مناصر لمصدق وحزب توده»(المرجع نفسه: ۶۵۳).

الواقعية النقدية فی شرح حياة البروليتاريا

تم اقتراح مصطلح الواقعية النقدية(Realisme critique) للمرة الأولی بواسطة *بارغيورک لوكاتش*(۱۸۸۵-۱۹۷۱) الناقد المعروف فاتحاً المجال بشكل أوسع من الأدب. «مفهوم الواقعية النقدية لا ينفصل عن وجهة نظر *لوكاتش*. فی هذه المرحلة، يتجاوز أبطال الرواية بيئتهم ويسعون جاهدين للحصول علی وضع اجتماعی جديد. أی أن هؤلاء الأبطال يكافحون ضد الوضع الراهن ويحاولون تغييره»(سيد حسينی، المدارس الأدبية: ۳۰). أبطال مثل توم وجيم كيسی وسليم ومرتضی، وفقاً لنظرية *لوكاتش* فی عالم الواقعية النقدية، يتقدمون علی زمنهم محاولين إحداث التغيير فی النظام الاجتماعی المضطرب. «تقدم الواقعية العظيمة بالنظر إلی توقيتها وشخصياتها الفنية حلاً مختلفاً لكل قضية أساسية، ولكن هناک وحدة مشتركة فی كل هذه القضايا، وهذا له تأثير عميق علی القضايا العظيمة والعالمية فی ذلک الوقت، ويصف الصعوبة التی لا لبس فيها للجوهر الحقيقی للواقعية»(لوكاتش، بحث فی الواقعية الأوروبية: ۱۶).

ترتبط رواياتنا من حيث المدرسة الأدبية بمجال الواقعية النقدية وتمثل نوعاً من القوة الدافعة الاجتماعية التی تعيد بناء صورة شاملة للمجتمع، لا سيما جوانب الأحداث التی يفضل المجتمع إبقائها مخفية. تتمثل المهمة الرئيسية للواقعية النقدية فی وصف حياة الطبقة الكادحة فی المجتمع، وتوجد العديد من الأمثلة علی ذلک فی أدب إيران والعالم ضمن إطار أدب العمال: «جرمينال»(*إميل زولا*)- «الأم»(*مكسيم غوركی*)- «البؤساء» (*تشارلز ديكنز*). تصور مواضيع الواقعية النقدية الشخصيات التی تتجاوز النظام الفرعی الاجتماعی الحالی والقيم الناتجة عنه. حاول *درويشيان وستاينبيک* تصوير فترة حياة تاريخية وديناميكية للعمال فی سياق مجتمع غير قابل للتوفيق وموقعهم فی هذا الطريق المحفوف بالمخاطر وأجواء الواقعية النقدية. هذه الواقعية التی تخدم معاناة البروليتاريا

بحرية فی سياق الواقع الاجتماعی، تسمی الواقعية الواعية: «ما أسميه الواقعية الواعية ليس مجرد رد فعل على الواقعية السابقة التی وضعت فی الاعتبار عبودية العالم المادی». الواقعية الواعية لا تنكر العالم إلا إذا اضطرت لذلک عندما يحين الوقت لتحقيق ذلک (غرانت، الواقعية: ۷۳).

الطبيعية(Naturalisme) شبه المظلمة لحياة العمال

عندما تتجاوز الواقعية مجال الواقع إلى الاحتجاج على ظروف المجتمع وكدح الطبقة المحرومة والفقيرة فی فضاء طبيعی، فإنها تصف حياة بروليتارية غير منظمة، مما يؤدی إلى ولادة الأدب العمالی. يجری إبداع الأدب العمالی بشكل أساسی بالطريقة الواقعية، ولكن يمكن أيضاً كتابة الأدب العمالی بطريقة طبيعية. «كانت الطبيعة الأمريكية استجابة مباشرة للقضايا الاجتماعية والوطنية. غالباً ما تكون الصراعات التی تدور رحاها بأيدی الرأسماليين موضوع الأعمال الأدبية الطبيعية»(فورست، ۱۹۹۶م: ۴۲). تُظهر رواية «عناقيد الغضب» كيف أن الشركات القوية أزاحت الشركات الصغيرة والفلاحين النازحين. تضم هذه المجموعة مؤلفين مثل *ثيودور هيرمان دريزر*(۱۹۴۵-۱۸۷۱) و*ستيفن كرين* (۱۹۰۰-۱۸۷۱) من الولايات المتحدة. وهكذا يتأثر المذهب الطبيعی الأمريكی بالعوامل المحلية أكثر من الاستغلالی بينما يكون المذهب الطبيعی الإيرانی الذی يعتبر *صادق جوبک*(۱۳۷۷-۱۲۹۵) من رواده، نابعاً عن الاستعمار ونفوذ الأجانب والضعف الداخلی للحكومة، معبراً عن البؤس والتشاؤم والفقر والفساد الاجتماعی الذی تعد الطبقات الفقيرة فی المجتمع من الضحايا الرئيسيين له.

«من خلال اقتصارها على إعادة إنتاج الواقع، حرمت الطبيعية الأدب من القدرة على تقديم صورة حية وديناميكية للقوی الدافعة الأساسية للتاريخ»(لوكاتش، الرواية التاريخية: ۳۱۶). إن ما يقدمه *درويشيان وستاينبيک* ليس مجرد قصة، ولكن فی ضوء نقد *غولدمان* الذی يعتقد بأنه يجب على المرء أن يفهم الأدب مع التاريخ، فهو احتجاج ضد قادة السلطة والطبقة البرجوازية فی السياق التاريخی والذين يظلمون العمال ويدفعون لهم أجوراً بخسة ويبيعون بأثمان باهضة ولا يسعون لعمل بنّاء لتوفير رفاهية العمال وسكنهم وصحتهم.

نتيجة البحث

«السنوات الغائمة» و«عناقيد الغضب» عملان واقعيان فى سياق الأدب العمالى. كما تقدم ذكره، يجب أن يكشف العمل الواقعى عن مفاهيم التناقضات المختبئة فى النظام الاجتماعى. تضم الروايتان انعكاسات صحيحة وكاملة وحيوية وديناميكية لبنية اجتماعية متماسكة وقد كتبها كتاب يمثلون الطبقة العاملة. يتماشى هذا المفهوم مع النظرية البنائية *للوسيان غولدمان* الذى يجادل فى نقده الماركسى قائلاً: أن الأفراد هم عوامل لمواقف فى النظام الاجتماعى، وليسوا عبارة عن عوامل حرة. لذلك فإن علم الاجتماع البنائى لا يعتبر العمل الأدبى انعكاساً للوعى الجماعى ولا يدرس العلاقة بين الاثنين على مستوى المحتوى؛ يعد كلا الكتابين ثمرة لحياة البروليتاريا الشاقة والمتقلبة، والفرق الرئيسى بينهما هو أنه فى السنوات الغائمة، استمر جزء كبير من النضال وقضى الأبطال سنوات عديدة فى المعارضة والاحتجاج ضد المستعمرين، مدركين لوعيهم الطبقى. لكن فى «عناقيد الغضب» أصبحت طبقة البروليتاريا فى بداية وعيها الطبقى مدركة تدريجياً لتشيؤها الذى لا مفر منه وهى فى طليعة معارضة النظام الاجتماعى الاستغلالى الحالى. لقد كان صراع البروليتاريا مع الرأسمالية فى السنوات الغائمة أكثر نجاحاً، ونهاية الكتاب تمثل انتصار الثورة وإطلاق سراح السجناء السياسيين. لكن نهاية كتاب «عناقيد غضب» تمثل بداية الظروف الحرجة بالنسبة للعمال الذين لا ملجأ لهم فى موسم البرد وهم قلقون على أسرهم من موجة الخوف والجوع والبطالة. يشرح *غولدمان* تحليل العمل الأدبى فى مرحلتين: ١.يجب فهم العمل فى هيكله وهذا ما يسمى بمرحلة الفهم. ٢.يجب إدراج هذا الهيكل فى البنية الاجتماعية والاقتصادية وهذا ما يسمى بمرحلة الشرح. وفقاً لرأى *غولدمان*، فإن الروايتين قابلتان للنقد المقارن الأمريكى من حيث عملية الفهم وعملية التفسير والشرح، على الرغم من الاختلافات الزمنية والمكانية بينهما. تم تصميم هيكل كل من الروايتين فى السياقين الاجتماعى والاقتصادى للطبقة الضعيفة والعاملة ويتم إدراكهما على حد سواء، ومن خلال وضع أبطال الرواية فى إطار مؤشرات تفكير *غولدمان* مثل الوعى الطبقى والتشيؤ والشخصية الإشكالية، فسوف نستنتج وجود العديد من أوجه التقارب والتشابه بينهما. هناك العديد من الأبطال فى الروايتين. إن مسعى كلتا الروايتين هو إظهار تناقضات المجتمع الطبقى ووعى البروليتاريا ونضالها، وإن ما يدفع الأبطال

للنضال هو أسرهم فی سجن التشیؤ، وعلی الرغم من أنهم جمیعاً یعانون من الارتباک السیاسی لعدم وجود قیادة متماسکة، یصبحون یوماً بعد یوم أکثر تصمیماً ورسوخاً فی الصراع. لا یجد سلیم حلاً لارتباکه ویعرض عن حزب توده، ویسعی فی مسیرة الفکر الدینی إلی حالة من السلام والسکینة الروحیة. توم وحید دون حب، یکره الاستبداد والقسوة، ویسعی لتحقیق العدالة، وموت صدیقه له تأثیر عمیق علیه، وغضبه أثناء هروبه یدفع توم إلی المکاشفة. إن دور جیم کیسی فی حیاة توم، مثل دور مرتضی وسلیم فی شخصیة شریف، دینامیکی وبناء ویحتذی به. شریف علی عکس توم، عاشق، لکن المعرکة هی أهم تحد له، وهذه المهمة الخطیرة تبقیه لسنوات بعیداً عن زوجته وعائلته. بالنسبة له، فإن التعلیم هو الحب والأمل فی تربیة جیل واعٍ یجب أن یکسر الطغیان بذکائه وعلمه، ویبذل شریف قصاری جهده لتعلیم طلابه، الأمر الذی لا یعجب رؤساء السلطة لأنهم یهدفون بشکل رئیسی لإبقاء الناس فی حالة من الجهل والأمیة للحفاظ علی السلطة.

المصادر والمراجع

أبراهامیان، یرواند. ۲۰۰۸م، **إیران بین ثورتین**، ترجمة کاظم فیروزمند، حسن شمس آوری، محسن مدیرشانه جی، ط ۱۲، طهران: مرکز.

آشوری، داریوش. ۲۰۰۸م، **الموسوعة السیاسیة**، ط ۱۶، طهران: مروارید.

ترافیک، باکنر. ۲۰۱۱م، **تاریخ الأدب العالمی**، ترجمة عربعلی رضایی ج۲، ط ۴، طهران: مطبوعات فرزان.

درویشیان، علی أشرف. ۲۰۰۴م، **السنوات الغائمة**، ج ۱ و ۲، ط ۵، طهران: جشمه.

زرافا، میشیل. ۱۹۹۷م، **علم اجتماع الأدب الروائی**، نسرین بروینی، طهران: سخن.

ساجدی، طهمورث. ۲۰۰۸م، **من الأدب المقارن إلی النقد الأدبی(مجموعة مقالات)**، طهران: أمیرکبیر.

ستایبنیک، جون. ۲۰۱۳م، **عناقید الغضب**، ترجمة شاهرخ مسکوب وعبد الرحیم أحمدی، ط ۱۸، طهران: أمیرکبیر.

سعید، إدوارد. ۱۹۹۸م، **عالم النص والمنتقد**، ترجمة أکبر أفسری، طهران: توس.

سلطانی، فرامرز. ۲۰۰۸م، **الأدب العمالی فی إیران فی القرن المعاصر**، طهران: أکنون.

سید حسینی، رضا. ۲۰۱۲م، **المدارس الأدبیة**، ج ۱، ط ۱۷، طهران: نکاه.

شمیسا، سیروس. ۲۰۰۶م، **النقد الأدبی**، طهران: میترا.

عسکری حسنکلو، عسکر. ۲۰۱۵م، **علم اجتماع الروایة الفارسیة**، طهران: نکاه.

غرانت، دیمیان. ۱۹۹۶م، **الواقعیة**، ترجمة حسن أفشار، طهران: مرکز.

غولدمن، لوسین و ثیودور آدونور وآخرون. ۱۹۹۷م، **المجتمع، الثقافة، الأدب**، مختارات وترجمة محمد جعفر بوینده، طهران: جشمه.

غولدمن، لوسین ولوکاتش، غیورک وباختین وهیغل. ۲۰۱۳م، **إطلالة علی علم اجتماع الأدب**، مختارات وترجمة محمد جعفر بوینده، ط ۳، طهران: نقش جهان.

غولدمن، لوسین. ۱۹۹۰م، **النقد التکوینی**، طهران: بزرکمهر.

غولدمن، لوسین. ۲۰۱۲م، **لوکاتش وهیدغر**، ترجمة محمد زارع، طهران: حکمت.

فورست، لیلیان. ۲۰۱۶م، **الطبیعیة**، ترجمة حسن أفشار، ط ۴، طهران: مرکز.

کازرونی، جعفر. ۱۹۹۸م، **أعمال درویشیان فی بوتقة النقد**، طهران: ندای فرهنک.

لوکاتش، غیورک. ۱۹۹۴م، **بحث فی الواقعیة الأوروبیة**، ترجمة أکبر أفسری، طهران: دار النشر العلمیة الثقافیة.

لوکاتش، غیورک. ۱۹۹۸م، **التاریخ والوعی الطبقی**، ترجمة محمد جعفر بوینده، طهران: نسل قلم.

لوکاتش، غیورک. ۲۰۰۷م، **الرواية التاريخية**، ترجمة شابور بهیان، طهران: اختران.
نامور مطلق، بهمن و کنکرانی، منیجه. ۲۰۱۰م، **العلوم المقارنة(مجموعة مقالات)**، طهران: سخن.
ندا، طه. ۲۰۰۸م، **الأدب المقارن**، ترجمة هادی نظری منظم، ط ۲، طهران: نی.

المقالات والرسائل

خلیلی جهان تیغ، مریم وعثمانی، مکیه. ۲۰۱۲م، «**النقد الاجتماعی لروایة السنوات الغائمة لعلی أشرف درویشیان**»، مجلة الأدب الروائی، ج ۱، العدد ۱، صص ۱۱۳- ۱۳۲.
سیدی، ندا. ۲۰۱۴م، «**دراسة الأدب العمالی فی العهد الدستوری فی مجال الشعر والنثر**»، الأستاذ المشرف: إحسان شفیقی، رسالة ماجستیر، جامعة آزاد الإسلامیة، قسم آستارا.
قابلی، نجمه. ۲۰۰۵م، «**الشخصیات المتمردة فی أعمال جون ستاینبک**»، مجله کلستانه، ج ۶۴، صص ۵۰- ۵۴.
کوجکیان، طاهره وقربانی، خاور. ۲۰۱۰م، «**تجسد المجتمع والواقعیة فی السنوات الغائمة لعلی أشرف درویشیان**»، مجلة البحوث الفلسفیة لکلیة الآداب والعلوم الإنسانیة فی جامعة تبریز، العدد ۲۲۰، صص ۸۵- ۱۰۶.